الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي – رحمه الله تعالى – في كتابه القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن :

كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة وما دخل في ضمنها ، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني وما تستدعيه مِنَ المعاني التي لم يُصَرِّح اللفظُ بذكرِها، وهذه القاعدة: من أجلِّ قواعدِ التّفسير وأنفعِها، وتَسْتدعي قوةَ فكرٍ، وحُسنَ تدبّر، وصِحَّةَ قصْدٍ.

فإنَّ الذي أنزلهُ هو العالمُ بكلِّ شيءٍ، الذي أحاطَ عِلمهُ بِما تحتوي عليهِ القلوب، وما تضمنه المعاني، وما يتبعُهَا ويتقدّمها وتتوقّف هي عليهِ.

ولهذا أجمعَ العلماءُ على الاستدلالِ باللازمِ في كلامِ الله لهذا السبب.

والطريقُ إلى سلوكِ هذا الأصلِ النافع:

أنْ تَفْهمَ ما دلَّ عليهِ اللفظُ مِنَ المعاني، فإذا فهمْتَهَا فهمـًا جيداً، ففكِّر في الأمورِ التي تتوقّفُ عليها، ولا تَحْصل بِدونِها، وما يُشْتَرطُ لها.

وكذلك فكِّرْ فيما يترتّبُ عليها، وما يتفرّعُ عنها، ويَنْبني عليها، ولا تزالُ تُفكِّرُ في هذه الأمور، حتى يصيرَ لكَ مَلكةً جيدة في الغوصِ على المعاني الدقيقة، فإنّ القرآنَ حقْ، ولازمُ الحقِّ حقْ، وما يتوقّفُ على الحقِ حقْ، وما يتفرّعُ على الحقِّ حقْ.

فمن وُفِّقَ لهذه الطريقة ، وأعطاهُ الله توفيقـًا ونوراً، انفتحتْ لهُ العلومُ النافعة، والمعارفُ الجليلة.

ولنُمثِّلْ لهذا الأصل أمثلةً تُوضِّحُهُ: منها: في أسمائه الحسنى [الرّحمن الرّحيم] فإنّها تدلُّ بلفظِها على وصفهِ بالرحمة، وسِعة رحمتهِ.

فإذا فَهمتَ أنَّ الرحمة التي لا يُشبهها رحمةُ أحد هي وصفهُ الثابت، وأنّهُ أوصلَ رحمتهُ إلى كلِّ مخلوق، ولمْ يخلُ أحدٌ مِنْ رحمتهِ طرفةَ عين ،

عرفتَ أنَّ هذا الوصف يدلُّ على كمالِ حياتهِ، وكمالَ قدرتهِ، وإحاطةَ علمهِ، ونفوذِ مشيئتهِ، وكمال حكمتهِ، لِتَوقُّفِ الرحمةِ على ذلكَ كلّه .

ثمَّ استدللتُ بِسعةِ رحمتهِ على أنَّ شَرْعه نورٌ ورحمة. ولهذا يُعللُّ تعالى كثيراً مِنْ الأحكامِ الشّرعية برحمتهِ وإحسانهِ؛ لأنّها مِنْ مُقْتضاهُ وأثره.

فهذه القاعدة الحادية عشرة وهي تتعلق بدلالات الألفاظ .

ومن المعلوم والمتقرر أن الألفاظ لها ثلاث دلالات :

١ – دلالة مطابقة.

٢ – دلالة تَضَمن.

٣– دلالة التزام .

أما **دلالة المطابقة** : فهي دلالة اللفظ على كامل معناه .

وأما **دلالة التضمن** : فهي دلالة اللفظ على بعض معناه .

وأما **دلالة الالتزام** : فهي دلالة اللفظ على أمر خارج معناه .

فهذه أنواع الدلالات الثلاثة : دلالة مطابقة ، ودلالة تضمن ، ودلالة التزام .

والشيخ – رحمه الله تعالى – يتحدث هنا في هذه القاعدة عن **دلالة الالتزام** – وهي النوع الثالث من أنواع دلالات الألفاظ – .

ويذكر أن دلالة الالتزام التي تؤخذ من لوازم الألفاظ في كتاب الله وكذلك في سنة النبي – صلى الله عليه وسلم– كلها حق ، وما دل عليه كلام الله ﷻ سواءً بدلالة المطابقة أو بدلالة التضمن أو بدلالة الالتزام كل ذلكم حق .

وكلام الشيخ هنا – رحمه الله تعالى – عن دلالة الالتزام خاصة .

يقول : **كما أن المفسر للقرآن يراعي ما دلت عليه ألفاظه مطابقة** – هذا النوع الأول من أنواع الدلالة – وعرفنا أن المطابقة هي دلالة اللفظ ، على كامل المعنى وما دخل في ضمنها ، هذا النوع الثاني من أنواع الدلالة وهو نوع التضمن .

وعرفنا أن دلالة التضمن هي: دلالة اللفظ على بعض معناه .

فيقول الشيخ : **كما أن المفسر يراعي دلالات الألفاظ المطابقة والتضمن ، فعليه أن يراعي لوازم تلك المعاني** ، أي : يراعي دلالة الالتزام .

وما تستدعيه مِنَ المعاني التي لم يُصَرِّح اللفظُ بذكرِها:

بمعنى أنها مستفادة من اللفظ لزوما ، لا مطابقة ولا تضمنا ، فاللفظ يدل عليها دلالة لزوم ، لا دلالة مطابقة وتضمن .

ودلالة اللزوم هي حق كما أن دلالة المطابقة والتضمن أيضا حق ؛لأن كلام الله ﷻ حق ولازم الحق حق . لكن بقيد مهم للغاية نبّه عليه أهل العلم ألا وهو : إنْ صح أنه لازم ،لازم الحق حق ، إنْ صحّ أنه لازم .

وهذا أمر سيأتي التنبيه عليه في تقرير المصنف – رحمه الله تعالى – .

أما أن يأتي شخص إما أن يكون عنده سوء فهم أو أن يكون عنده سوء قصد ، أو أن يكون عنده الأمران معـًا ؛ سوء الفهم وسوء القصد .

ثم يدّعي أشياء ليست بلازمة من كلام الله –سبحانه وتعالى – يدّعي أنها من لازم كلام الله ويطالب بإثباتها . هذا ترد عليه ؛ لأن لازم كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – حق إنْ صح أنه لازم .

أما إذا كان مجرد دعوى ، يدعيها سيء فهم أو سيء قصد لا تُقبل منه .

الشاهد أنَّ هذه قاعدة عظيمة جدًا، ونافعة ومفيدة، ولابد فيها من حسن فهمٍ وسلامة قصدٍ.

قال –رحمه الله–: هذه القاعدة من أجلّ قواعد التفسير وأنفعها، لماذا؟

لأنَّك لو اقتصرت في الدلالات؛ دلالات القرآن ودلالات السنة على دلالة المطابقة ودلالة التضمن ضاع منك كثير من الفوائد المأخوذة من أدلة الكتاب والسنة استنباطًا وفهمًا فتضيع أشياء كثيرة وتفوت على الإنسان؛ أمَّا إذا أعمل هذه الدلالة باعتدال وبانضباط وبمراعاةٍ صحيحة لدلالات الألفاظ مع حسن فهمٍ وحسن قصدٍ ظهر له من أنواع العلوم والمعارف والفوائد والأحكام شيئًا لا يظهر لمن لم يكن مراعيًا لهذه القاعدة العظيمة.

قال: **وتستدعي قوة فكرٍ وحسن تدبرٍ وصحة قصدٍ**.

لاحظ هذه الأمور الثلاثة، يعني هذه القاعدة تتطلب ممن أراد أن يُعمل هذه القاعدة أن يُعمل فكره في النَّص والتأمل فيه إعمالًا قويًا يحسن الفكر والتأمل والتدبر في النَّص؛ بمعنى أن ينظر في دلالة النَّص وينظر أيضًا في الأمور التي يتوقف حصول الحكم المطلوب في النَّص عليها، وما لا يتم تحقيق هذا الحكم إلا بها ونحو ذلك ليخرج بأحكام مستفادة من هذا النَّص عن طريق اللُّزوم.

قال: **وحسن تدبر**، أي: أن يحسن في تدبره لكلام الله –سبحانه وتعالى – .

والأمر الثالث قال: **وصحة قصدٍ**؛ لأنَّ من فسد قصده فإنَّه سيحمِّل النصوص ما لا تحتمل، وكل شيء في نفسه يدور من المفاهيم الفاسدة والاعتقادات الباطلة يحاول أن يجعل النصوص دالةً عليها؛ بطريق اللازم الباطل الفاسد فيحاول أن يطوّع النصوص لتكون دالةً على هذا الفهم أو الاعتقاد الذي يعتقده، وهذه طريقة أهل الضلال في تعاملهم مع كلام الله أو كلام رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، ولهذا لابد في تطبيق هذه القاعدة وإعمالها من حسن القصد؛ بأن يكون قصد الإنسان سليمًا ليس عنده زيغٌ في اعتقاده، أو انحراف في دينه، أو ضلال في فهمه.

قال: **فإنَّ الذي أنزله هو العالم بكل شيء الذي أحاط علمه بما تحتوي عليه القلوب وما تضمنه المعاني، وما يتبعها ويتقدمها وتتوقف هي عليه**،

فالله -سبحانه وتعالى - الذي تكلم بالقرآن الكريم عليمٌ بذلك كله؛ بمعنى لو كان شيءٌ من هذه ليست لازمًا من كلامه لبيّن ذلك -سبحانه وتعالى - لعباده؛ لأنَّه عليمٌ بكل شيء، علمه محيطٌ بما في القلوب، محيطٌ بما يُفهم من كلامه - جلَّ وعلا - ، محيطٌ بما ما تتضمّنهُ المعاني وما يتبعها وما يتقدّمُها، محيطٌ -سبحانه وتعالى - بما يتوقف قيام الحكم الذي أمر به عليه كلُّ ذلك محيطٌ - جلَّ وعلا - عِلمه به، فهذا يُستفاد من أنَّ دلالة اللازم حقٌ في كلام الله وكلام رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام بقيدٍ لابد منه ألا وهو إن صحَّ أنّه لازم، أمَّا الدعاوى الباطلة الزائفة التي يدّعيها أهل الضلال ويزعمون أنّها من لازِمِ كلام الله أو من لازم كلام رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، فهذه تُردُّ عليهم.

كيف السبيل إلى تطبيق هذه القاعدة؟

يقول الشيخ - رحمه الله- : **والطريق إلى سلوك هذا الأصل النَّافع** : يعني طريقة الاستفادة من دلالة اللُّزوم: **أن تفهم ما دلَّ عليه اللَّفظ من المعاني**.

والمراد بقوله أن تفهم ما دلَّ عليه اللفظ من المعاني أي: مطابقةً وتضمُنا، تَفهم الدلالة التي دلّ عليها اللفظ عن طريق المطابقة وهي دلالة اللفظ على كامل المعنى، وأن تفهم أيضًا ما دلَّ عليه اللفظ بدلالة التضمُّن وهي دلالة

اللفظ على بعض المعنى، وعندما نصل إلى الأمثلة التي ذكر الشيخ أُوَضّح بالمثال دلالة المطابقة والتضمّن والالتزام.

قال: **أن تفهم ما دلّ عليه اللفظ من المعاني؛ فإذا فهِمته فهمًا جيّدًا** : يعني فهمت ما دلّ عليه اللفظ من المعاني مطابقةً وتضمنًا فهمًا جيّدًا، عندئذٍ أصبحت مهيئًا؛ لأن تفهم دلالة اللُّزوم؛ أمَّا الذي لم يفهم دلالة الخطاب أو دلالة اللفظ مطابقةً أو تضمُنًا ثمَّ أراد أن يدخل في دلالة اللزوم سيخطئ ولابد؛ لأنَّ دلالة اللزوم مبنية على فهم ما دلّ عليه اللفظ مطابقةً وتَضَمُنا.

قال: **فإذا فهِمتها فهمًا جيّدًا ففكِّر في الأمور التي تتوقف عليها ولا تحصلُ بدونها وما يُشترط لها، وكذلك فكِّر فيما يترتّبُ عليها وما يتفرّعُ عنها وما ينبني عليها ولا تزال تفكِّر في هذه الأمور حتّى يصير لك مَلَكَة جيّدة في الغوص على المعاني الدقيقة.**

هذه الطريقة التي من خلالها تُفهَم دلالة اللُّزوم، وهذا تُطبقُه في جميع الآيات سواء في الآيات المتعلقة بجانب الأخبار أو الآيات المتعلقة بجانب الأوامر والنواهي؛ عندما ينهى الله -سبحانه وتعالى - مثلًا عن شيء يُفهَم هذا الذي نهى الله عنه فهمًا واضحًا سليمًا بدلالة المطابقة ودلالة التضمّن، ثمَّ بعد ذلك ينظر في الأمور التي يتوقف تطبيق هذا الذي نهى الله عنه عليه فيجعلُ اللفظ دالًا عليه دلالة التزام.

مثلًا: نهي اللّه - سبحانه وتعالى - في بعض آيات القرآن عن الزنا نهيُهُ عن الزنا، أو كذلك ثناؤه على عباده المقربين ببُعدِهم عنه "ولا يزنون" هنا يُفهَم من هذا اللفظ دلالته على معناه دلالة المطابقة والتضمن، وأيضا يُفهم منه عن طريق اللَّزوم النهي عن أمورٍ عديدة لم يُصرِّح اللفظ بالنهي عنها لكنّها مستفادة منه لزومًا، كأن يقول القائل: يَحرُم على الإنسان النظر المحرّم؛ لأنَّ اللّه نهى عن الزنا

والنهي عنه نهي عن كل أمر يفضي إليه.

هذه دلالة التزام ليست دلالة مطابقة ولا دلالة تضمن، يأخذها المتأمل بدلالة الالتزام.

ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب:

قوله ما لا يتم الواجب إلا به: فهو واجب في أمور مستفاد بطريق الالتزام ليست مستفادة لا على عن طريق دلالة المطابقة ولا عن طريق دلالة التضمن وإنما هي مستفادة عن طريق دلالة الالتزام .

قال : "**فإن القران حق** "

الشيخ يستدل للقاعدة يقول: **فإنَّ القران حق ولازم الحق حق** هنا نضيف الكلمة التي نص عليها أهل العلم ومستفادة من كلام الشيخ سابقا: **إن صح أنه لازم ولازم الحق حق** -إن صح أنه لازم -أما إذا كان هذا اللازم مدعى من سيء فهم أو سيء قصد هذا يكون مردوداً عليه وليس مقبولا منه

ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حقٌ، وما يتفرع على الحق حق

وهنا تبدأ تنفتح للإنسان أبواب دلالة الالتزام من طريق ما يتوقف عليه كلام الله ، وأيضا من طريق ما يتفرع عنه من أمور وأحكام. تستفاد منه عن طريق. التأمل فيما يتفرع على هذا اللفظ الذي أستفيد منه الحكم مطابقةً وتضمنا ثم انتقل إلى الجانب الآخر وهو الاستفادة منه بدلالة الالتزام .

قال : " فمن وفق لهذه الطريقة. وأعطاه الله توفيقًا ونورا "

هنا أيضا ينبه الشيخ على جانب وهو : أن هذا الفهم يتفاوت الناس فيه بحسب ما يفتح الله -سبحانه وتعالى – عليهم، وبحسب ما يصحبهم من توفيق الله ومنّه -سبحانه وتعالى - وإلا أحيانا قد يطالع الإنسان في النص عشرات المرات لا يظهر له منه معنى، وينظر إليه آخر مرة مرتين متدبرا وينفتح له فيه معاني بحسب ما آتاه الله – عز وجل – من الفهم والعلم ، وبحسب أيضا ما استصحبه أو تيسر له من التوفيق – توفيق الله – عز وجل – وعونه وفتحه –

قال : " انفتحت. له العلوم النافعة والمعارف الجليلة ، ولْنمثل لهذا الأصل أمثلة توضيحية . يأتي الآن الشيخ بأمثلة يوضح من خلالها كيف نستفيد من دلالة الالتزام ؟ قال : " منها في أسماء الله الحسني "

القاعدة التي هي دلالات الألفاظ، وأنَّ الألفاظ تدل على أنواع ثلاثة من الدلالات: مطابقة، وتضمن، والتزام، هي أيضا تطبق في الأسماء الحسني : كل اسم من أسماء الله الحسني فإنَّ المعاني المستفادة منه هي بهذه الأنواع الثلاثة من الدلالة : المطابقة والتضمن والالتزام ، فلنأخذ المثال الذي ذكره الشيخ – رحمه الله – ' الرحمٰن الرحيم ' اسمان لله – عز وجل – هذان الاسمان إن أخذت منهما دلالتهما على الذات – ذات الله – ، وعلى صفة الرحمة فالدلالة حينئذٍ مطابقة؛ لأن أسماء الله – سبحانه وتعالى – أعلام وأوصاف :

- **أعلام**: باعتبار دلالتها على الذات
- و**أوصاف**: باعتبار دلالتها على المعاني

فإذا أخذت من اسمي "الرحمن الرحيم" الدلالة على الذات، وصفة الرحمة معنىً ، فالدلالة حينئذٍ مطابقة؛ لأن هذه الدلالة الآن هي دلالة اللفظ على كامل معناه وإن أخذت من هذين الاسمين "الرحمن الرحيم" الدلالة على الذات فقط، أو أخذت منهما الدلالة على صفة الرحمة فقط فهذه تسمي دلالة تضمن؛ لأن مما يتضمنه اسم الله "الرحمن": إثبات الرحمة صفة له ، لكن إثبات صفة الرحمة له – سبحانه وتعالى – هل هي كامل دلالة هذا الاسم ؟

- لا، هي بعض دلالته، فإذن الاستدلال هنا يسمي **تضمن**.

إن جئت إلى نوع آخر من الاستدلال قلت مثلا : ثبوت الرحمة صفة لله –سبحانه وتعالى – دليل على أنه حيّ، ودليل على أنه له إرادة ، هذه ماذا تسمي ؟

- هذه تسمي دلالة إلتزام ؛ لأنك استدللت من هذا اللفظ على أمر خارج معناه، وإنما هو مأخوذ من هذا اللفظ عن طريق اللزوم ، يلزم من كونه رحمان أن يكون حيًا ، وأن يكون له إرادة، وأن يكون له كذا وكذا من الصفات ، فهذه تسمي دلالة الالتزام .

يقول : منها: في أسمائه الحسنى [الرّحمن الرّحيم] فإنّها تدلُّ بلفظِها على وصفهِ بالرحمة، وسِعة رحمتهِ.

قوله : فإنّها تدلُّ بلفظِها على وصفهِ بالرحمة، وسِعة رحمتهِ:

هذا الاستدلال الذي ذكره الشيخ هنا هل هو مطابقة أو تضمن؟

- تضمن ؛لأن الآن الشيخ أخذ منها بعض المعنى، لا كامل المعنى. فالدلالة هنا **تضمن** ، قال: : **فإنّها تدلُّ بلفظِها على وصفهِ بالرحمة، وسِعة رحمتهِ،**

فإذا فَهمتَ أنَّ الرحمة التي لا يُشبهها رحمةُ أحد هي وصفهُ الثابت، وأنّهُ أوصلَ رحمتهُ إلى كلِّ مخلوق، ولمْ يخلُ أحدٌ مِنْ رحمتهِ طرفةَ عين ،

هذا كله الآن ماشي في دلالة "**التضمن**"

عرفتَ أنَّ هذا الوصف يدلُّ على كمالِ حياتهِ،

الآن دخلنا في دلالة" الالتزام"

وكمالَ قدرتهِ، وإحاطةَ علمهِ، ونفوذِ مشيئتهِ، وكمال حكمتهِ،

هذه الآن خمس صفات استفدناها من إثبات الرحمة من صفات الله لكن هذه الخمس صفات أخذناها من هذا اللفظ متطابقة ؟

لا ...

تضمنا؟

لا... أخذناها منه إلتزاما، – أخذناها منه بدلالة الإلتزام – ولولا اعمال هذه الدلالة دلالة إلتزام لفات الإنسان خيرا كثيرا سواء في باب الأسماء والصفات أو في باب الأحكام الأوامر والنواهي ، كما سيأتي أمثلة لاحقة عند الشيخ

لماذا قلنا: إن الرحمة دلت على كمال الحياة وكمال القدرة وإحاطة العلم ونفوذ المشيئة وكمال الحكمة ؟

لماذا قلنا إنها دالة على هذه الصفات ؟ قال : " لتوقف الرحمة على ذلك كله " يعني الرحمة متوقفة على ثبوت

هذه الصفات : أن يكون حيًا، أن يكون له إرادة، أن يكون حكيما، فثبوت الرحمة له متوقفة على ثبوت هذه الصفات، فأخذناها بطريقة دلالة الإلتزام ؛لأن هذا الأمر متوقف في ثبوته عليها ، ولهذا الشيخ قبل قليل قال : " **ولازم الحق حق وما يتوقف على الحق حق** "

هذا الآن داخل تحت قوله "وما يتوقف على الحق حق" ؛ لأن ثبوت الرحمة صفات تتوقف على ثبوت الحياة ، وثبوت الإرادة وثبوت العلم وثبوت الحكمة وثبوت القدرة إلى غير ذلك من الصفات مما ذكره- رحمه الله - ومما لم يذكره.

أيضا لو أخذت مثلا اسم الله - عز وجل - السميع، أو اسميه السميع البصير، وقلت: ثبوت السمع والبصر لله دليل على ثبوت حياته، إثباتك للحياة من خلال هذين الاسمين هو عن طريق " دلالة الالتزام" .

قال: (**ثم استدللت بسعة رحمته على أن شرعه نور ورحمة**).

الآن لو جئت أيضا تستفيد فائدة أخرى من دلالة الالتزام، وقلت: ثبوت الرحمة صفة لله دليل على أنه لا يأمرنا بأي أمر إلا وفيه رحمة، دلالة صحيحة أو لا؟ صحيحة، فلو قلت: شرع الله - سبحانه وتعالى - كله رحمة؛ لأنه رحمن، كل شيء أمرنا الله به هو رحمة؛ لأنه رحمن، هذه دلالة ماذا؟ التزام، وهي دلالة صحيحة، عندما تأتي إلى أفعال الله -سبحانه وتعالى - أو أوامره أو شرعه، وتقول: كله رحمة أو تقول: شرعه كله حكمة، هذا كله استدلال صحيح مأخوذ من أسمائه الحسنى عن طريق دلالة اللزوم.

قال: (**ولهذا يعلل تعالى كثيرا من الأحكام الشرعية برحمته وإحسانه؛ لأنها من مقتضاه وأثره**).

لأن مقتضى أسمائه ومن آثار أسمائه -سبحانه وتعالى - ، فيعلل - جل وعلا - كثيرا من الأحكام الشرعية بأنها رحمة بالعباد، ولطف منه -سبحانه وتعالى - بالعباد.

هذا الآن مثال في باب الأسماء الحسنى، ومن القواعد التي يقرر بها أهل العلم ما يتعلق بأسماء الله الحسنى يذكرون هذه القاعدة، يقولون أسماء الله الحسنى تدل ثلاث دلالات: **مطابقة وتضمن والتزام**.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ إِنَّ اللهَ نِعِمّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فإذا فهمت أن الله أمر بأداء الأمانات كلها إلى أهلها، استدللت بذلك على وجوب حفظ الأمانات، وعدم إضاعتها والتفريط والتعدي فيها، وأنه لا يتم الأداء لأهلها إلا بذلك،

وإذا فهمت أن الله أمر بالحكم بين الناس بالعدل استدللت بذلك على أن كل حاكم بين الناس في الأمور الكبار والصغار لا بد أن يكون عالمًا بما يحكم به، فإن كان حاكمًا عامًا فلا بد أن يحصِّل من العلم ما يؤهله إلى ذلك،

وإن كان حاكمًا ببعض الأمور الجزئية: كالشقاق بين الزوجين، حيث أمر الله أن نبعث حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها، فلا بد أن يكون عارفًا بهذه الأمور التي يريد أن يحكم بها، ويعرف الطريق التي توصله إليها).

هذا أيضا مثال لدلالة الالتزام، قال: (ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ إِنَّ اللهَ نِعِمّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كانَ سَميعًا بَصيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

أمرنا هنا - جل وعز - بأمريين -وسيتحدث عن كل منهما الشيخ رحمه الله بإعمال دلالة الالتزام-:

الأول: أداء الأمانة قال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها ﴾ [النساء: ٥٨]، أمر بأداء الأمانة، أداء الأمانة في حقيقة فعله أنك تأخذ الأمانة وتسلمها إلى صاحبها، هذا أداء الأمانة،

لكن لو قال لك قائل - وعندك أمانة لشخص ما- قال: لا تضعها في مكان يعرضها للسرقة؛ لأن الله -سبحانه وتعالى - يقول: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَن تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهلِها ﴾، استدلاله صحيح أو لا؟ استدلاله صحيح، وإن لم يدل اللفظ عليه مطابقة ولا تضمنا، ولكنه يدل عن طريق الالتزام؛ لأن الله أمرنا بأداء الأمانة إذن من مقتضى هذا الأمر أو مما يستلزمه هذا الأمر أن احفظ الأمانة، فكل ما لا يتحقق أداء الأمانة إلا به فهو مأمور به في الآية عن طريق دلالة الالتزام،

ما يتوقف أداء الواجب عليه أو ما لا يؤدى الواجب به فهو **واجب**، ما لا يتم الواجب إلا به فهو **واجب**، الأمانة لا يمكن أن يؤديها إذا كان يعرضها للضياع أو يعرضها للتلف، أو يعرضها للفساد، هذا لا يمكن أن يؤدي الأمانة إلى أهلها، ولا يمكن أن يفعل هذا الذي أمره الله – سبحانه وتعالى – به.

يقول الشيخ: (**فإذا فهمت أن الله أمر بأداء الأمانات كلها إلى أهلها استدللت بذلك على وجوب حفظ الأمانات**).

من أين استدللنا هذا الاستدلال؟ حفظ الأمانات؟ من أين استدللنا من هذه الآية تحديدا على وجوب حفظ الأمانات؟

لأن أداء الأمانة لا يمكن أن يكون إلا بحفظ الأمانة، فلا ما يمكن يؤدى به إلا به فهو واجب علينا، وهو مستفاد تدل عليه الآية دلالة صحيحة عن طريق الالتزام.

قال: (**استدللت بذلك على وجوب حفظ الأمانات، وعدم إضاعتها والتفريط والتعدي فيها، وأنه لا يتم الأداء لأهلها إلا بذلك**).

فهذه أشياء كلها مستفادة من طريق دلالة الالتزام.

المثال الثاني في الآية: ﴿ وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ ﴾

أمرنا الله –سبحانه وتعالى – أن نحكم بالعدل

لو قال قائل: قوله –سبحانه وتعالى – : ﴿ وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ ﴾ دليل على وجوب العلم فيما يريد الإنسان أن يحكم به، بمعنى لو قال: لا يجوز لك أن تحكم في مسألة ما إلا وعندك فيها علم شرعي؛ لأن الله –سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ ﴾استدلاله صحيح أو لا؟ صحيح؛ لأنه لا يمكن أن يحكم إنسان بالعدل إلا أن يكون عنده علم فيما يحكم به، فإذن الآية تدل عل وجوب العلم فيما سيحكم الإنسان به، أما إذا لم يكن عنده علم كيف يتأتى منه حكم بالعدل وهو فاقد للعلم؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

إذن استدلالنا على وجوب العلم فيما سيحكم الإنسان به، أو استدلالنا بهذه الآية على وجوب العلم فيما يحكم الإنسان به استدلال صحيح عن طريق دلالة الالتزام.

قال: (**وإذا فهمت أن الله أمر بالحكم بين الناس بالعدل، استدللت بذلك على أن كل حاكم بين الناس في الأمور الكبار والصغار لا بد أن يكون عالمًا بما يحكم به، فإن كان حاكمًا عامًا فلا بد أن يحصِّل من العلم ما يؤهله إلى ذلك**).

مثل أن يكون قاضي يقضي في أحوال المسلمين وأقضيتهم المتنوعة، فلا يكون في هذه الرتبة -رتبة القضاء- إلا إذا كان عنده من العلم ما يؤهله لذلك.

(**وإن كان حاكمًا ببعض الأمور الجزئية**) يعني في قضايا محدودة معينة، هنا لا يشترط أن يكون عالما مثل العلم الذي عند القاضي، يؤهله للحكم في كل القضايا، لكن يشترط أن يكون عنده علم في هذه القضية المعينة التي سيدخل فيها حكما.

يمثل الشيخ قال: (**كالشقاق بين الزوجين**)،﴿فَابعَثوا حَكَمًا مِن أَهلِهِ وَحَكَمًا مِن أَهلِها ﴾ [النساء: ٣٥]، الآن لما يختار حكما من أهله أو حكما من أهلها، ثم يأخذ من أهله أو من أهلها رجلا مغفلا لا يفهم ولا يعي ولا يحسن الأمور هل ينتظر من مثله أن يحكم بالعدل ؟ أبدا، فإذا لا يمكن أن يحكم بالعدل إلا أن يكون عنده فهم ، عنده علم في هذا الأمر الذي سيكون داخلا فيه أو محاكما فيه ، قال : (**كالشقاق بين الزوجين**) حيث أمر الله أن نبعث حكما من أهله وحكما من أهلها فلابدّ أن يكون عارفا بهذه الأمور التي يريد أن يحكم بها ويعرف الطريق التي توصل إليها ، أمّا إن دخل شخص ليس عنده علم ولا عنده هذه المعرفة ربما يؤدي إلى زيادة الخلاف وزيادة الشقاق وهذا كم يحصل في الأسر وفي البيوت عندما يدخل في الحكم بين المختلفين في الأسرة رجلا أرعن أو سيئ التّفكير أم سيّئ التصرف فيبدأ بإثارة الشقاق وزيادة الخلاف وتجده أحيانا يلزم مثلا طرفه بأمور يقول : لا تقبل منه إلا أن يعطيك كذا وكذا أو أن يفعل كذا ، ويعقّد الأمور مما يجعل الهوّة أو الفرقة تزداد بين الطرفين،

فإذا قوله : ﴿ وَإِذا حَكَمتُم بَينَ النّاسِ أَن تَحكُموا بِالعَدلِ ﴾[النساء: ٥٨]

يدل على وجوب العلم إن كان الذي يحكم بين الناس سيكون حاكما عاما في أقضيتهم وفي شؤونهم المختلفة، فهذا يدل على وجوب أن يكون عنده علم يؤهله في أمور الشريعة المتنوعة، وإن كان مطلوب منه الحكم في جزئيّة أن يكون عنده علم في هذه الجزئية التي سيدخل حكما فيها،

ولهذا أحيانا بعض النّاس – وهذا فيه خير للمجتمعات – بعض الناس يتخصص في جانب مثل الإصلاح بين الزوجين يتخصص ويبدع في هذا الجانب ويعتني به عناية فائقة ويجعل الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ على يديه خيرا كثيرا في الإصلاح بين الزوجين والحكم بينهم ،فهذا أمر مستفاد من الآية عن طريق دلالة الالتزام .

{ وبهذا بعينه نستدل على وجوب طلب العلم وأنه فرض عين في كل أمر يحتاجه العبد، فإن الله أمرنا بأوامر كثيرة، ونهانا عن أمور كثيرة ، ومن المعلوم أنّ امتثال أمره واجتناب نهيه يتوقف على معرفته وعلمه فكيف يتصور أن يمتثل الجاهل الأمر الذي لا يعرفه أو يدع الأمر الذي يعرفه }

وهذه أيضا فائدة نفيسة جدّا تستفاد بدلالة الالتزام ،الآن وجوب العلم أو علم المسلم بالفرائض ليفعلها والمحرمات ليجتنبها، هذا يؤخذ من آيات عديدة فيها الأمر بالعلم، وهذه تكون **دلالة مطابقة** ، لكن يقول الشيخ : { **أيضا يمكن أن يستفيد هذا الأمر عن طريق دلالة الالتزام** } فنقول أنّ الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ أمرنا بأوامر – أمرنا بالصلاة أمرنا بالحج أمرنا بالصّيام – ، أيضا نهانا عن نواهي: نهانا عن الرّبا نهانا عن الزّنا نهانا عن السرقة نهانا عن العقوق نهانا عن أمور كثيرة ، نهانا عن الغش، عن الكذب إلى آخره ،

الذي لا يعلم ما أمره الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ به هل يتأتّى منه أن يفعل المأمور ؟ لا ،الذي لا يعلم ما نهاه الله ـ – سبحانه وتعالى – ـ عنه هل يتأتّى منه ترك المنهي ؟ ولهذا قيل : **كيف يتّقي من لا يدري ما يتّقي؟!**

يعني كيف يتّقي المحرمات من لا يعرفها، ولا يدري أنّ الله -سبحانه وتعالى - حرّمها عليه ونهاه عنها، النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : { إيّاكم ومحدثات الأمور } الذي لا يدري ما هو المحدث ،كيف يتجنّب البدع ؟كيف يستطيع أن يطبّق هذا الحديث ؟

{ إياكم ومحدثات الأمور } وهو لا يدري ما هي البدعة ، ولهذا تجد بعض النّاس يمارس بعض البدع ويواضب عليها ويقرأ أحيانا هذا الحديث أو يُقرأ عليه : { إيّاكم ومحدثات الأمور } ثمّ يقول في نفسه : الحمد لله أنا بعيد عن البدع وسليم منها ، ولا يدري عن نفسه المسكين أنه متلطّخ بأنواع البدع والسّبب ماذا ؟ - السبب أنه لا يدري ما هي البدعة ، ويقع في أشياء من البدع يفعلها وهو لا يدري ، فكيف من مثل هذا أن يطبق قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: { إياكم ومحدثات الأمور } أي: احذروها وهو يجهل البدعة ما هي ،أعظم من ذلك الشرك الذي نهى الله ـ -سبحانه وتعالى - ـ عنه في آيات كثيرة جدّا كيف يجتنب الإنسان الشرك وهو لا يدري ما هو الشّرك ،كيف يجتنبه ، ولهذا تجد بعض النّاس يقع في صور من الشرك وإذا قرأ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ ﴾[النساء: ٤٨]

يقول : الحمد لله الذي عافانا من الشرك ، وهو لا يدري أنه وقع في صور من الشرك التي نهى الله ـ -سبحانه وتعالى - ـ عنها ،إذا لو استدللنا هذا شاهد المقال لو استدللنا على وجوب العلم بمثل قوله : ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ ﴾

وبمثل قوله : ﴿وَالَّذينَ لا يَدعونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلا يَقتُلونَ النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالحَقِّ وَلا يَزنونَ ﴾[الفرقان: ٦٨]

قلنا : هذه الآيات دليل على وجوب العلم استدلال صحيح أو غير صحيح ؟ استدلال صحيح بدلالة الإلتزام ؛ لأنه لا يمكن للإنسان أن يجتنب الشرك ولا أن يجتنب البدع ولا أن يجتنب المعاصي ولا أن يفعل الواجبات إلا بالعلم فهذا استدلال صحيح ، قوله :﴿وَأَقيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]

هذا أمرنا الله ـ -سبحانه وتعالى - ـ به إذا لم نتعلم كيف نقيم الصلاة : ﴿وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦]

إذا لم نتعلم صفة الحجّ كيف نحجّ حجّا صحيحا ، فإذا هذه فائدة دلالة الإلتزام أو من فوائد دلالة الإلتزام أنه: دلّ على وجوب العلم الشرعي في افترضه الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ على عباده وفي أيضا العلم الشرعي فيما نهى الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ عباده عنه، يقول الشيخ في آخر الجملة : { **فكيف يتصور أن يمتثل الجاهل الأمر الذي لا يعرفه** }

لا يمكن ، لا يتصوّر أن يمتثل أمرا لا يعرفه ، شخص يقال له الله – عزّ وجل –يقول : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾

صلّي ، وهو لا يعرف الصّلاة وشروطها وواجباتها وأركانها كيف يمتثل هذه الآية ؟ كيف يمتثلها ؟ لا يستطيع أحد أن يمتثل قول الله ـ –سبحانه وتعالى – ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ إلّا بالعلم ، فدلّ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾

على وجوب العلم، دلّ على وجوب إقامة الصّلاة

(**فكيف يتصور أن يمتثل الجاهل الأمر الذي لا يعرفه أو يدع الأمر الذي يعرفه**) هذا كله غير متصور، يعني (يدع الأمر الذي يعرفه) ربّما أنّها غير واضحة لبعض الإخوة ، ـ يعني ـ مثلا شخص يعتقد في شيء أنّه مباح – حدّ معرفته له أنّه مباح – وجئته وقلت له : (يا أخي أترك هذا لا تفعله) هل يتركه ؟ وهو حدّ معرفته له أنّه مباح هل سيتركه ؟

- لا يتركه؛ لأنه يعتقد أنّه مباح ، لكن لو حصل له العلم وعلِم أنّه محرم تركه لعلمه بحرمته.

فكيف تصور الإنسان أن يترك الشيء الذي حد علمه فيه أنه مباح حد علمه فيه أنه مباح ؟ يكون أمرا محرما نهى الله –سبحانه وتعالى – عباده عنه لكن لا يعلم بذلك وحد فهمه له أنه مباح ، وجئت وقلت له: أترك هذا الأمر لا يقبل منك لكن لو تبين له بالدليل الشرعي أنه محرم ربما أنه ينصاع لذلك

وكذلك أمره لعباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر يتوقف ذلك على العلم بالمعروف والمنكر ليأمر به وينه عن هذا ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ومالايحصل ترك المنهي عنه إلا به فهو واجب ، فالعلم بالإيمان والعمل الصالح متقدم على القيام به .. والعلم بضد ذلك متقدم على تركه إستحالة ترك مالا يعرفه العبد قصدا وتقربا وتعبدا...

هذا كلام عظيم جدا وهو في نفسه متضمن قواعد – قواعد في الباب نفسه – يقول: **وكذلك أمره لعباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر**

فيه آيات أمر الله – سبحانه وتعالى– فيها بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وفيه أيات أثنى بها على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر،

لو قال قائل: هذه الآيات تدل على وجوب معرفة المعروف، ووجوب معرفة المنكر استدلال صحيح أو غير صحيح؟

- صحيح؛ لأنه لا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا من عرف المعروف ولا يمكن أن ينهى عن المنكر إلا من عرف المنكر ، أما من لم يعرف المعروف ولم يعرف المنكر كيف يأمر بمعروف لا يعرفه هو؟ وكيف ينهى عن منكر لا يعرفه أيضا؟ يقول الشيخ: **يتوقف ذلك على العلم بالمعروف والمنكر ليأمر بهذا وينهى عن هذا .فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**

هذه قاعدة ، وهي أيضا تفيد في باب التقرير دلالة الإلتزام .

قال : **وما لا يحصل ترك المنهي عنه إلا به فهو واجب .**

مثَّلنا قبل قليل النهي عن الزنا، فكل ما لا يتأت ترك الزنا والبعد عنه إلا به فهو واجب، يجب على العبد أن ينصاع و أن يمتثل ..

قال : **فالعلم بالإيمان والعمل الصالح متقدم على القيام به ،**

العلم قبل القول والعمل ، وهذه أيضا قاعدة من قواعد الشريعة : قال الله سبحانه ﴿فَاعلَم أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ﴾[محمد: ١٩])

بدأ بالعلم قبل القول والعمل؛ لأنه مقدم ، وكان نبينا–عليه الصلاة والسلام– كل يوم بعد صلاة الصبح يدعو بثلاث دعوات يقول:" **اللهم إني أسالك علما نافعا ورزقا طيبا وعملا متقبلا** " بدأ بماذا ؟

- بالعلم النافع ، أول ما بدأ يدعو قال :"**اللهم إني أسالك علما نافعا** "ثم قال " ورزقا طيبا وعملا متقبلا"

لماذابدأبالعلم النافع؟

- لأنه مقدم

هل يستطيع أن يميز إنسان بين رزق طيب وخبيث إلا بالعلم؟؟ وهل يستطيع أن يميز بين عمل صالح أوطالح إلا بالعلم ؟؟

- مايمكن

ولهذا العلم مقدم، ومن دخل في كسب الرزق أودخل في باب العمل والتقرب الى الله بدون علم، سيخطئ هنا ويخطئ هناك، ولهذا العلم ضرورة في طلب الرزق وضرورة في التقرب والتعبد لله –سبحانه وتعالى – فمن كان يطلب الرزق ب بلا علم ولا فهم ، وأيضا تقرب الى الله –سبحانه وتعالى – بلا علم ولا فهم سيقع في أخطاء ، ولهذا جاء عن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى – أنه قال :

من عبد الله بغير علم كان مايفسد أكثر مما يصلح

سيقع في أخطاء و أخطاء يجره إليها جهله جهله بدين الله –سبحانه وتعالى – وربما كان له شيء من النصيب من قوله : ﴿قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرينَ أَعمالًا﴾

﴿الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَهُم يَحسَبونَ أَنَّهُم يُحسِنونَ صُنعًا﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤]

قال: **والعلم بضد ذلك متقدم على تركه لإستحالة ترك ما لا يعرفه العلم بضد ذلك**

ضد ذلك: الإشارة هنا الى الإيمان والعمل الصالح إشارة بقوله ضد ذلك إلى ماهو ضد الإيمان " الكفر " وماهو ضد العمل الصالح "العمل الفاسد".. فأيضا كما أننا مطالبون بالعلم بالإيمان والعمل الصالح من أجل أن نفعله فإننا كذلك مطالبون بمعرفة ضده وهو الكفر والعمل الفاسد من أجل أن نجتنبه ، كما أن المسلم مطالب بمعرفة الإيمان والأعمال الصالحة ليفعلها ويطبقها فإنه كذلك مطالب بمعرفة ضد ذلك من أجل أن يجتنبه...

كيف يجتنب الكفر من لايعرف الكفر؟ وكيف يجتنب البدع من لايعرف البدع؟ وكيف يجتنب الكبائر من لايعرف الكبائر ؟ ولأجل هذا كتب أهل العلم كتبا في التحذير من الشرك، و كتبا في التحذير من البدع ، وكتبا في التحذير من الكبائر؛ لأنها لا يمكن أن تجتنب إلا إذا علمت..

تأمل عبارة الشيخ يقول: **والعلم بضد ذلك – يعني ضد الإيمان وهو الكفر – ، وضد العمل الصالح وهوالعمل الفاسد– متقدم على تركه**

ما معنى متقدم على تركه؟

- يعني:متقدم على تركك للكفر وتركك للبدع وتركك للكبائر أن تكون عالما بها إن لم يكن الإنسان عالما بهذه الأشياء كيف يتأتى منه تركها ؟

ولهذا قال: **متقدم علي تركه لإستحالة ترك ما لايعرفه العبد قصدا وتقربا وتعبدا..**

انتبه للعبارة الأخيرة فإنها دقيقة قال: **لإستحالة ترك ما لا يعرفه العبد قصدا تقربا وتعبدا** : يعني أن يكون قاصدا للترك ومتقربا الى الله –سبحانه وتعالى – به نعم قد يترك الانسان مثلا الزنا لعدم شهوته أو لعدم رغبته أو لعدم قدرته أو غير ذلك من الأغراض لكن من هو الذي يترك الزنا خوفا من الله وخوفا من سخط الله وخوفا من عقاب الله من هو الشخص الذي عرف حرمة الزنا وعرف عقوبات الله –سبحانه وتعالى – له ، وقل مثل ذلك في الأشياء الأخرى ، نعم قد يتركها الإنسان ، لكن تركه لها ليس بقصد التقرب ، ولابقصد الخوف من الله –سبحانه وتعالى – أو نحو ذلك.. وإنما يتركها إما إتفاقا أو يتركها مثلا :مجاملة لأناس أو يتركها لعدم القدرة على ذلك، ممكن أن يحصل مثل هذا الترك لكن هل يمكن أن يحصل ترك للمعاصي خوفا من الله وخوفا من عقابه إلا إذا كان العبد على علم بتحريمها وعلم بالأدلة الدالة على النهي عنها وذكر عقوباتها.

ومن ذلك الأمر بالجهاد والحث عليه من لازم ذلك الأمر بكل مالايتم الجهاد إلا به من تعلم الرمي والركوب وعمل آلاته وصناعاته ، مع أن ذلك كله داخل دخول مطابقة في قوله تعالى : ﴿وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ ﴾[الأنفال: ٦٠]

فإنها تتناول كل قوة عقلية وبدنية وسياسية ونحوها.

الآن هذا المثال يوضح لنا طريقة الإستبدال من الجهتين:

- من جهة دلالةالمطابقة والتضمن
- ومن جهة دلالة الإلتزام

مثلا هذه الأمور التي ذكر: تعلم الرمي تعلم الركوب آلات الحرب إلى آخر ذلك..

فهذه الأشياء إن استدللت عليها بقول الله –سبحانه وتعالى – :"﴿وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]

هنا دلالة مطابقة، ودلالة أيضا تضمن ، لكن إن أردت أن تستدل لهذه الأشياء بالآيات التي فيها الأمر بالجهاد، وقلت الجهاد أصلا ما يمكن أن يكون إلا بتعلم الرمي إلا بالاستعداد البدني إلا بوجود آلات إلا بكذا وكذا ..

استدلالك هنا التزام ، إن استدللت على هذه الأشياء بقوله :"﴿وَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]

" هذه أخذتها من دلالة اللفظ والمطابقة، وإن استدللت على هذه الأمور نفسها بالآيات التي تحث على الجهاد فاستدلالك استدلال التزام. نعم

ومن ذلك : أن الله استشهد بأهل العلم على توحيده وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وهذا يدل على عدالتهم وأنهم حجة من الله تعالى على من كذب بمنزلة آياته وأدلته.

إذا قرأت الآية :" ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ وَالمَلائِكَةُ وَأُولُو العِلمِ قائِمًا بِالقِسطِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[آل عمران: ١٨]

وقلت هذه الآية دليل على فضل العلماء ودليل على مكانة العلماء ودليل على عدالة العلماء ودليل على أن العلم إنما يتلقى من العلماء استدلالك صحيح أو لا؟

- استدلالك صحيح؛ لأن استشهاد الله -سبحانه وتعالى - بأهل العلم على توحيده الذي هو أعظم الأمور وأجلها على الإطلاق هذا وحده دليل على مكانة أهل العلم وعدالتهم ؛ لأن الله - عز وجل- استشهد بأهل العلم على توحيده هذا من ناحية
- ومن ناحية أخرى قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته فهذا كفى به شرفًا وفضلاً ونبلاً لأهل العلم ، ودلالة على عدالة أهل العلم

إذا استدلالنا بهذه الآية على عدالة العلماء هو استدلال **بطريق الالتزام**، وهو استدلال صحيح

ومن ذلك سؤال عباد الرحمان ربهم أن يجعلهم للمتقين إماما يقتضي سؤالهم الله جميع ما تتم الإمامة في الدين به من علوم ومعارف جليلة وأعمال صالحة وأخلاق فاضلة؛ لأن سؤال العبد لربه شيئا سؤال له ولما لا يتم إلا به كما إذا سأل الله الجنة واستعاذ به من النار فإنه يقتضي سؤال كل ما يقرب إلى هذه ويبعد من هذه.

أيضا قوله -سبحانه وتعالى - :﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾[الفرقان: ٧٤]

في ذكر صفات الرحمان في آخر سورة الفرقان ﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾

ما المراد بالإمامة التي يسأل عباد الرحمان أن يجعلهم الله -سبحانه وتعالى - عليها أو من أهلها ﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ ،ما هي الإمامة ؟

ربما يوجد من الناس من يقصر فهمه في هذا الباب ويفهم من قوله : ﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ أن يكون في مسجد يؤم المصلين وله راتب مناسب ويدعو الله -سبحانه وتعالى - بهذه الآية ويظن أن هذا هو المعنى المراد

﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ ويكرر في إلحاحها وهو لا يفهم منها إلا هذا المعنى

بينما الآية أمرها أجل وأعظم وأكبر من هذا بكثير

﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ عندما تدعو بهذه الدعوة كأنك تطلب من الله – عز وجل – أن ييسر لك أن تجتمع فيك صفات الخير من صدق ووفاء وأمانة وإلى آخره ...أن تجتمع فيك صفات الخير بحيث أن تكون إمام المتقين أي خصلة من خصال الخير تكون قدوة لهم فيها، ولا يصل الإنسان إلى هذه الرتبة العالية إلا إذا اجتمعت فيه صفات الخير، وكان محافظا على الخير من أبوابه – هذا معنى قوله "﴿وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ وهي دعوة عظيمة جدا

إذا دعوت الله –سبحانه وتعالى – بها فكأنك طلبت لنفسك من الله أن يكرمك بأن يجمع لك صفات الخير لتكون في حالك وفي شأنك قدوة لأهل الخير في الخير

يقول الشيخ "**سؤال عباد الرحمان ربهم أن يجعلهم للمتقين إماما يقتضي سؤالهم الله جميع ما تتم الإمامة في الدين به من علوم ومعارف جليلة وأعمال صالحة وأخلاق فاضلة كل هذه داخلة تحت قولك في دعائك** "

﴿ وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾

كأنك سألت الله العلم النافع وسألت العمل الصالح والأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة والمعاملات الطيبة كلها داخلة تحت ﴿ وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾

"قال: **لأن سؤال العبد لربه شيئا سؤال له ولما لا يتم إلا به**

فأنت إذا سألت الله أن يجعلك إماما للمتقين ما يمكن أن يكون أحد إمام المتقين وليس عنده علم لا يمكن أن يكون إمام للمتقين وليس عنده أخلاق، فإذا ما لا يتم هذا الأمر إلا به فهو داخل فيه ويشمله كما إذا سأل الله الجنة

مثال توضيحي : كما إذا سأل الله الجنة واستعاذ به من النار فإنه يقتضي سؤال كل ما يقرب إلى هذه ويبعد من هذه عندما تقول "**اللهم إني أسألك الجنة** " هذا يتضمن سؤال الله الإيمان والأعمال الصالحة والطاعات الزاكية التي هي السبب لدخول الجنة وإذا قلت اللهم إني أعوذ بك من النار هذا أيضا يتضمن الإعاذة من الأعمال التي تفضي بأصحابها إلى النار

ومن ذلك أنه أمر بالصلاح والإصلاح ، وأثنى على المصلحين وأخبر أنه لا يصلح عمل المفسدين فيستدل بذلك على أن كل أمر فيه صلاح للعباد في أمر دينهم ودنياهم، وكل أمر يعين على ذلك فإنه داخل في أمر الله وترغيبه، وأن كل فساد وضرر وشر فإنه داخل في نهيه ،والتحذير عنه، وأنه يجب تحصيل كل ما يعود إلى الصلاح والاصلاح بحسب استطاعة العبد كما قال شعيب صلى الله عليه وسلم "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت".

هذا أيضا مثال آخر: **أمر الله بالصلاح والإصلاح**

بالصلاح : أي صلاح الإنسان في نفسه

والاصلاح: اصلاحه للآخرين

فأمر الله بالصلاح والاصلاح، يقول: يستدل به على أن كل ما فيه صلاح للعباد في أمر دينهم ودنياهم ، وكل أمر يعين على ذلك فإنه داخل في هذه الآيات التي فيها الأمر بالصلاح والاصلاح - وهو داخل فيها **بدلالة الالتزام** - .

ومن ذلك قوله تعالى :"﴿وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ﴾[البقرة: ٢٢٣]

﴿حَرِّضِ المُؤمِنينَ عَلَى القِتالِ﴾[الأنفال: ٦٥]

يقتضي الأمر كل ما لا تتم البشارة إلا به والأمر بكل ما فيه حث وتحريض وما يتوقف على ذلك ويتبعه من الاستعداد والتمرن على أسباب الشجاعة والسعي في القوة المعنوية من التآلف واجتماع الكلمة ونحو ذلك.

قوله "﴿وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ﴾[البقرة: ٢٢٣] : يعني بشرهم بالجنة، بثواب الله .. إلى آخره . هذا يدل على فضل الايمان ، وفضل أعمال الإيمان، والأمور التي يكمل بها الإيمان.. كل هذه الأمور مستفادة من قوله﴿وَبَشِّرِ المُؤمِنينَ﴾

وأيضا قوله "﴿حَرِّضِ المُؤمِنينَ عَلَى القِتالِ﴾[الأنفال: ٦٥]

يستفاد منه مثل ما ذكر الشيخ سابقا : الاستعداد ومعرفة الرمي ومعرفة أمور الجهاد إلى آخر ذلك.. مستفادة من قوله ﴿حَرِّضِ المُؤمِنينَ عَلَى القِتالِ﴾؛ لأن هذا لا يتم إلا بمعرفة هذه الأمور.

ومر معنا: **ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب**

قال: وما يتوقف على ذلك ويتبعه من الاستعداد والتمرن على أسباب الشجاعة والسعي في القوة المعنوية من التآلف واجتماع الكلمة ونحو ذلك ..وهنا يعني الكلمة التي ختم بها: **كم غفل عنها أقوام وظلت عن تحقيقها أفهام فزلت بهم الأقدام زللا عظيما**

عندما دخل أناس في باب الجهاد زاعمين أنهم سيطبقون الجهاد الذي أمر الله –سبحانه وتعالى – به لكنهم خرجوا عن هذه القاعدة التي هي التآلف واجتماع الكلمة،

الشيخ يعد التآلف واجتماع الكلمة والاجتماع على ولي الأمر جزء من الجهاد فمن نزع اليد من الطاعة وخرج على الجماعة ورفع السيف ودخل في أمور من هذا الباب يدعي أنها من الجهاد –هل هذا جهاد مشروع؟؟ – الجواب لا–، ليس هذا من الجهاد المشروع ، بل و هو خروج عن الجهاد المشروع ونزع لليد من الطاعة وخروج على الجماعة، ومن فارق الجماعة قيد شبر جاء فيه وعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم :«**من فارق الجماعة قيد شبر ومات مات ميتة جاهلية**» فهو الآن يمارس أمور يزعم أنها من الجهاد، لكن هي في المفهوم الشرعي مفارقة للجماعة، وإذا مات على هذه الحال مات ميتة جاهلية نسأل الله العافية والسلامة وهو في قرارة نفسه أنه مجاهد وأنه يقاتل في سبيل الله بينما هو في المفهم الشرعي الصحيح مفارق للجماعة ، ولهذا لاحظ الشيخ من علمه – وهذه طريقة أهل العلم الراسخين – لما ذكر تحريض على الجهاد قال: يشمل التحريض على الجهاد الإستعداد والتمرن والشجاعة والسعي في القوة المعنوية من التآلف واجتماع الكلمة، لكن إذا تمزقت الكلمة وذهب الناس شذر مذر وكل ركب رأسه وكل مسك السيف بيده ويقول: أنا أجاهد على طريقتي ولحالي تصبح الأمور فوضى ، ويختل أمن الناس ، وتنتهك الأعراض وتراق الدماء ، ويضيع حتى الدين، لكن **الجهاد الصحيح**: هو الجهاد المعتبر بقواعده الشرعية وأصوله المرعية المعروفة من كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومثل هذا التنبيه الدقيق في هذا الموضع لا يأتي إلا من الأئمة الراسخين والعلماء المحققين، أما الإنسان الطائش أو المتسرع أو الذي لم يلم إلماما كافيا بالشريعة وقواعدها وأصولها المعتبرة تزل به القدم في هذا الباب.

ومن ذلك: الأمر بتبليغ الأحكام الشرعية والتذكير بها وتعليمها فإنّ كل أمر يحصل به التبليغ وإيصال الأحكام إلى المكلفين يدخل في ذلك، حتى إنه يدخل فيه إذا ثبتت الأحكام الشرعية ووجدت أسبابها وكانت تخفى عادة على أكثر الناس: كثبوت الأهلة بالصيام والفطر والحج وغيره، إبلاغها بالأصوات والرمي وإبلاغها بما هو أبلغ من ذلك كالبرقيات ونحوها ، وكذلك يدخل فيه كل ما أعان على إيصال الأصوات إلى السامعين من الآلات الحادثة ، فحدوثها لا يقتضي منعها فكل أمر ينفع الناس فالقرآن لا يمنعه بل يدل عليه لمن أحسن الاستدلال به وهذا من أيات القرآن وأكبر براهينه:أنه لا يمكن أن يحدث علم صحيح ينقض شيئا منه فإنه يلد بما تشهد به العقول جملة وتفصيلا، أو يلد بما لا تهتدي إليه العقول وأما وروده بما تحيله العقول الصحيحة وتمنعه فهذا محال والحس والتجربة شاهدان بذلك فإنه مهما توسعت الإختراعات وعظمت الصناعات وتوسعت المعارف الطبيعية وظهر للناس في هذه الأوقات ما كانوا يجهلونه قبل ذلك فإن القرآن ولله الحمد لا يخبر بإحالته بل تجد بعض الآيات فيها إجمال أو إشارة تدل عليه وقد ذكرنا شيئا من ذلك في غير هذا الموضع والله أعلم وأحكم وبالله التوفيق.

ثم ختم الأمثلة التي يمثل بها لدلالة الإلتزام بهذا المثال: وهو الأمر بتبليغ الأحكام الشرعية والتذكير بها وتعليمها .

كيف نبلغها للناس وكيف تصل؟ مثلا في رمضان هل الهلال وأردنا أن نبلغ الناس وعندنا وسائل تيسرت للإبلاغ مثل: الإذاعات ومثل الهواتف المحمولة وغيرها.. ووسائل الإتصالات الحديثة، هذه الأشياء كلها الإستفادة منها معتبرة وصحيحة، وتدل عليها دلالة الالتزام التي هي دلالة شرعية معتبرة .

أيضا مثلا الإستفادة من مكبرات الصوت لنقل الأصوات في المساجد والمحاضرات أوالدروس العلمية أو نقل المحاضرات عن طريق الإذاعات وغيرها حتى تصل إلى الناس- هذا كله معتبر - وهي داخلة في نصوص كثيرة ومستفادة من نصوص شرعية كثيرة عن طريق دلالة الإلتزام ،

وكان أول ما ظهرت هذه الأشياء - مثل مكبرات الصوت - أول ما ظهرت بعض الناس استنكروها ، ولم يقبلوا أن تدخل عليهم في المساجد مثل: أن يوضع مكبر الصوت في المسجد يقول: هذا منكر حتى

مما يذكر في هذا الباب الشيخ- رحمه الله - في بلده عنيزة كان إمام مسجد وكان قاضي البلد وعالم البلد، فأول ما جاءت المكبرات عدد من الناس استنكروها، استنكروا أن توضع في المساجد فقام الشيخ وأعد خطبة جمعة وأتى بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة التي تدل على صحة إستعمال هذه الآلات، وخطب خطبة جمعة وألقاها واستعمل مكبر الصوت ومضى عند الناس؛ لأنه صحيح وتدل عليه النصوص الشرعية، بل لم يكتفي بذلك ألّف رسالة جميلة ونافعة في بابها سماها "**"الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلة في الدين الإسلامي"**": العلوم النافعة الأشياء الحديثة الوسائل الحديثة قيدها بقوله: :النافعة" فيخرج منها الضار ، فالعلوم النافعة العصرية يعني التي اكتشفت في هذا العصر داخلة في الدين الإسلامي -من أين دخلت فيه؟- دلالة الإلتزام

الآيات الكثيرة التي في القرآن يؤخذ منها بطريقة الإلتزام كثيرة التي تدل على هذا المعنى، والشيخ جمع قدرا منها طيبا في رسالته هذه، وهو يشير إليها هنا بقوله:' **وقد ذكرنا شيء من ذلك في غير هذا الموضوع** '.

إلى هنا انتهت الأمثلة التي ذكرها الشيخ ، ونسأل الله عز وجل أن يمن علينا أجمعين بالعلم النافع والعمل الصالح والقول السديد وأن يهدينا جميعا إليه صراطا مستقيما وأن يهدينا وأن يهدي لنا وأن يهدينا بنا وأن ييسر الهدى لنا وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.